مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية
المجلد5 ، العدد10، (جوان 2017)
ISSN : 2353-046
EISSN : 2600-6421

شعر الطبيعة الشعبي لدى شعراء مدرسة تلمسان

صغير خيرة (جامعة تلمسان)
باحثة بمخبر جمع وتوثيق الشعر الشعبي من العهد العثماني حتى القرن العشرين

ملخص باللغة العربية:

إنّ أغلب الأشعار كانت ممزوجة بحُبِّ الطبيعة بدايةً من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي فالعباسي وصولًا إلى الحديث والمعاصر ، فعبّر الشعراء عن شعورهم النّفسي والوجداني من فرح وحزن من خلال تسخير عناصر الطبيعة المختلفة .

ان الطبيعة المترفة التي تميزت بها منطقة تلمسان ملكت وجدان وإحساس الشعراء الشعبيين بغناها و تنوعها , فتركوا فيها لوحات وصفية فنية رائعة , وتأثروا بسحرها ومشاهدها من رياض وبساتين وأزهار وأنهار ووديان ، فالمنداسي، بن سهلة ، بن تريكي وبن مسايب، وغيرهم من أبناء تلك الدّيار السّاحرة راحوا يعملون على محاكاتها والتفنّن في إبراز مفاتنها , فكان لهم فيها أشعار في غاية الروعة والإبداع .

Abstract :

Most of poems were mixed with thelove of nature an this from the pre-Islamic , Islamic , an Abbaside era up to contemporary and modern epoch . So poets expressed their psycological and emotional feelings of joy and sadness by harnessing elements of nature .

The popular poets were charmed by the luxurious nature of the Tlemcenregion , which led them to leave a fantastic descriptive and artistic paintings . They also were influenced by the charm of its gardens , flowers , rivers and valleys , such as EL MANDASSI , BENSAHLA , BENTRIKI and IBN M'SAIB that worke on simulation of its charms , resulting in a very magnificence and creativity poetry .

شعر الطبيعة هو شعرٌ اتُّخِذَ من الطبيعة الحيّة كالمدن والوديان والسهول والحيوانات والأزهار والجبال والبحار ... أهم موضوعاته ، فالشاعر كان يرى أمامه

المنارة للاستشارات

عناصر الطبيعة ماثلة، فعاش فيها وَجعلها الملاذ الأول وَكان لها نصيب كبير في شعر ودواوين الشعراء .

هو في اصطلاح النقاد يستقرّ على أنّه يتناول بالتعبير قسمين رئيسيين :

أ - الطبيعة الصّائتة : ويقصدون بها ما اشتملت عليه الطبيعة من الكائنات الحيّة المتحركة ذات الصوت سوى الإنسان ، و ذلك كأنواع الحيوانات وَالطيور المختلفة ، لأنه ما من كائن حيّ منها إلّا و له صوت مميّز مهما تقاربت صوره وأنماطه .

ب- الطبيعة الصامتة : ويقصدون بها ما اشتملت عليه من الأنواع الثلاثة :

- الجمادات الطبيعية المختلفة سواء ما سكن منها كالأرض وجبالها ، وكُثبانها وسفوحها ووديانها ، وما تحرّك كالأنهار والبحار والغدران والجداول والمحيطات وبقية المائيات .

- النباتات المختلفة وَما يتّصل بها كالرّياض والأزهار والبساتين والأشجار والثّمار إلى غير ذلك من أنواع النباتات .

- الظواهر الطبيعية المختلفة : كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والبرق والرّعد والرّياح واللّيل والنهار والربيع ، الخريف ...[1]

شعر الطّبيعة ليس موضوعا جديدًا في الشعر العربي ، إنّما هو قديم قِدمَ الشعر ذاته فهو كظاهرة وغرضٍ وفنّ موجود منذ القديم . فالشاعر الجاهلي تحدث في هذا الموضوع عن كل شيء شاهده ، و كان شعره مستمدًّا من صميم البيئة التي يعيش فيها ، وَعرض جميع صور الطّبيعة كذكره للطّلل ، الصحراء الليل ، المطر ، البرد ، وَأنواع الحيوانات من ناقة وفرسٍ وذئب وعُقابوبقرة وحشية ...

الشاعر الجاهلي صوّرَ الحياة الجاهلية تصويرًا دقيقًا صادقا بإحساس عميق بالمظاهر التي تؤثر فيه نفسه ، " ... الأصحاب تشرقُ وجوههم كالذئاب ، والأشجار تبدو للخائفِ المذعور كالأشخاص ، والظُّغون كالنخيل أو الدّوم ،والحبيبة كالظبية ، و شَعرُ المرأة في طوله و تداخلهِ و غزارته كشماريخ النّخلة ، و ضُمور الناقة و انحناؤها بكثرة ما قطعته من المفاوز كالهلال ..."[2]، وقد برع في وصف الطبيعة في هذا العصر عددُ من الشعراء كالأعشى وَروعة وصفه للصحراء في قوله :[3]

و بيداءُ يلعبُ فيها السّرَابُ لا يهْتدي القومُ فيها مَسيرَا

قَطَعَتْ إذْ سَمِعَ السّامِعُو نَ ، لِلجُنْدُبِ الجُونِ فِيها صَرِيرَا

وللطّلل علاقة مباشرة بوجدان الشاعر في هذا العصر لما تثيره في نفسه من ذكريات هذا النوع من الشعر مثّل تجربة الحنين والشوق و الأسى , حتّى أنّ شعراء المعلّقات

المنارة للاستشارات

ISSN : 2353-046
EISSN : 2600-6421

جعلوه مطلعا لمعلّقاتهم , نبغ فيه العديد من الشعراء على رأسهم امرؤ القيس عندما وقف باكيا معدّدا أسماء الأطلال واصفا الريح ,ثمّ يمثّل بكاءه متشبّها بناقف الحنظل لانهيار دموعه[4] :

قِفَا[5] نَبْكِ مِن ذِكْرى حَبِيب ومَنْزل بِسَقْط اللّوى[6] بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[7]
فَتَوْضَحَ فالمَقراةَ[8] لَم يعفُ رَسْمُها[9] لِمّا نَسَجَتْها من جنوبٍ وشمَالِ[10]
تَرى بعْرَ الآرام[11] في عَرَصَاتِها[12] وقِيعَانُها[13] كأنّه حَبّ فُلْفلِ

وامرؤ القيس الذي فاق الروعة في وصف الفَرَسِ :[14]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معًا كَجَلمودِ صَخْرٍ حَطّهُ السّيْلُ مِن عَلِ

هكذا استلهم الشعراء العرب بيئة الجاهلية من مياه وأمطار وأنهار وبحار وبساتين وعرضوها في أشعارهم ، والمعروف عن هذه البيئة غناها بمظاهر الطبيعة المتعددة والصور البديعة التي ألهمت العديد من الشعراء بسحرها ، حتى صارت مصدرًا أساسيا يستقي منها الشاعر فنّه وإبداعه الشعري .

وإذا نظرنا إلى شعر الطبيعة في العصر الأموي نجده قد ظلّ مُرتبطا بالمواضيع والصّور القديمة المرتبطة بالبيئة التقليدية ، رغم التغيرات الطارئة بحديث الشاعر عن الطّلَلِ والصحراء والحيوان البرّي ... وقد عُرِف بما يسمّى بشعر الرّحلة الذي يضمُّالناقة ، الصحراء ، الحيوان الوحشي .

عادة ما ينتقل الشاعر بعد وقوفه على الطلل إلى تسجيل صورته وهو يخوض الصراع مع الحياة ، فيصوّر الصحراء وصعوبة العيش فيها و قساوتها ، لينتقل إلى وصف وسيلة التنقّل فيها والتي تكون غالبًا الناقة .[15]

ومِمّن وظفوا الرّحلة في قصائدهم المركبة " ذو الرمّة " الذي ذكرَ في شعره الصحراءوحيواناتها وَرمالها وَليلِها وَسرابِها وَطيورها فوَجدَ في الصحراء الطمأنينة و السكونوالعظمة:[16]

ويومَ يزِيلُ الظَبْيُ أقصى كنَائِسَهُ وتنزُو كُنُوزُ والمعلّقات جَنَادِبُهُ

جمع ذو الرمّة في حديث الرّحلة بين وصف الصحراء و هوائها وحشراتها ووحوشِها ومائِها الآسن ، المخزّن في الآبار التي ضربت عليها العناكب بنسجِها ...

ان موضوعات الطبيعة التي ألمّ الشاعر الأموي بوصفها نجدها دائمًا ذات طابع قديم و نفسية بدائية ، بعيدًة كلّ البعد عن الحضارة الجديدة .

المنارة للاستشارات

أمّا في ذكر الطبيعة عند الشعراء العبّاسيين فنجِدهم قد تأثروا بالحضارة الجديدة التي اقتضت مواضيع جديدة، فاستطاع بعض فحول الشعر أن يضيفوا إلى الأوصاف المادية للطبيعة حسًّا وَذوقا فاستغرقوا في نشوة جمالها و بادلوها عاطفةً بعاطفة وَحبًّا بِحُب ، فانتقل الحديث من الإبِلِ وَالناقة وَالبقر الوحشي وَالذئب إلى ذكر الرّياض وَالقصور وَالرّبيع الذي نجِدُهُ في شعر أبي تمام وَأبي نواس وَالبُحتري .[17]

يقول أبو تمام في وصفه للرّبيع :[18]

رقّت حَواشي[19] الدّهر فهِي تمَرمَرُ[20]وَغدى الثرى في حِليَة يتكسَّرُ

نَزلَتْ مُقَدّمةً المَصِيفَ حَمِيدَةً وَيدُ الشِتَاءِ جدِيدةً لا تَكفرُ[21]

فإعجاب الشعراء العباسيين بالطبيعة دفعهم إلى رسم أجمل الصّور الملوّنة بالألوان الزّاهية ، فكان يرى ابن الرومي الدنيا في الربيع أصبحت تروق للناظر إليها ، ففي رؤية ألوان الورد الطبيعية وتنوع أشكاله جلاءٌ للبصرِ كما في قوله :[22]

أصْبَحَت الدُّنْيَا تروقُ للنَّظَرِ بِمنْظَرٍ فيهِ جَلاءٌ للبَصَرِ

وَمن بين أهم المواضيع الجديدة التي تغنّى بها الشعراء ذِكرهم للقصور ، كوصف البحتري الرائع لقصر المتوكّل الشاهق الذي لم يرَ مثله من قبل ، من حيث ضخامته وعلوّهِ واخضراره وضوءهِ ، فتعجّب من رؤية الاخضرار دون مطر والضوء دون قمر:[23]

في رأس مُشرفةٍ ، حصَاها لُؤلُؤ وَترابُها مِسكٌ ، يُشابُ بِعَنبَرِ

مُخضَرّة وَالغيث ليسَ بِساكِبٍ وَمُضيئة وَالليلُ ليسَ بِمُقمِرِ

أما إذا تحدّثنا عن شعر الطبيعة في العصر الحديث فلا نجده موضوعا جديدا كما أشرنا آنفا ، وإنّما الأمر الذي يجب الإشارة إليه هو أن هذا الغرض عند المحدثين قد اختلف عن العصور السابقة . ذلك أن الطبيعة في الشعر القديم لم تتّخذ موضوعا خاصا بل كان الشعر يتعرض لها في سياق غرضٍ آخر كالغزل , المدح, الفخر... أما الشعر الحديث فلم يقف حدّ المشاهد التي تبهجُ النفس و إنما اتجه اتجاها عامّا إلى ما للطبيعة من وجود معنوي يلدُ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه[24].

وأهم ما ميّز شعر الطبيعة في الأدب الحديث أنّ الشاعر قد أحيا العناصر الطبيعية وجعلها ذات شعور وإدراك , فكان شَغوفًا بالطبيعة الحيّة من حيوان ونبات فجعلها موضوعا لتخيلاته وتأملاته[25].

فكثُر الشعراء المختصّون في هذا الغرض وكثُرت دَواوينهم ,نذكرُ على سبيل المثال مدرسة أبولو التي عملت على نشر شعر الطبيعة وتعميقه , وحفّزت شعراء الجيل

المنارة للاستشارات

الجديد على الاهتمام به , فهام هؤلاء الشعراء بالطبيعة وبمختلف أقسامها من زهر وروضٍ وشجروبحر ونهر وشخّصوا بأبصارهم إلى السّماء ، فسبّحوا في الكون الفسيح وما فيه من نجوم وكواكب وأجرام متناثرة ,وقد بلغت عناية هؤلاء الشعراء بمظاهر الطبيعة إلى درجة أن جعلوا عناصرها عناوين لدواوينهم وقصائدهم .

نذكر على سبيل المثال وليس الحصر ديوان أغاني الكوخ لمحمود حسن إسماعيل , ديوان أحلام النخيل لعبد العزيز عتيق , ديوان وراء الغمام لإبراهيم ناجي , أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي, ديوان فوق العباب لأحمد زكي أبو شادي .....

انه من غير الممكن الحديث عن شعر الطبيعة دون التنويه بمدرسة أبولو التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية لكثرة عدد شعرائها وتنوع دواوينهم ولاعتنائها بأبواب الشعر المختلفة أهمها شعر الطبيعة .وتعد مجلة أبولو أول من سمّى شعر الطبيعة وخصص له مكانا بين فنون الشعر العربي[26] ,فاندمج شعراؤها اندماجا عاطفيا يصل إلى مرتبة العشق و الهُيام كما فعل أبو شادي في قصيدته " متى مِتُّ " عندما امتزج بالطبيعة ، حتى تمنّى أن يكون كفَنُهُ من أغصان الياسمين ، وتنثر أزهاره لتكون نُجومًا فوق قبرِهِ ، وأراد أن يرثيه البلبل فوق قبره[27]:

كَفّنُوني بِأغْصَانِ الياسَمِينِ إنّ فِي طِيبِهِ عَزَاءُ الدّفِينِ
وَانثُرُوا زَهرهُ نجُومًا بِقبْرِي عَلَّ مِن نُورِهِ شفاءُ العيونِ
وَادْفِنوا جَانِبِي رسَائِلَ حُبٍّ كمْ شجّتْنِي بِأوقَعِ تلحِينِ
وَدَعُوا البُلبُلَ المُغَنّي بِشِعْرِي يتوَلّى رِثَاءَ قَلْبِي الحَزِين

وإذا نظرنا إلى الشعراء المُحدثين عامةً وشعراء مدرسة أبولو خاصةً وجدنا المرأة متغلغلة في معظم ثنايا هذا الشعر ، فهي أيضًا قد عُنِيت بقصائد خاصّة بها ، وراحوا يهيمون شغفًا بها و مزجوها بعناصر الطبيعة ، كما فعل شعراء المهجر ، نذكر على سبيل المثال الشاعر عثمان حلمي حينما مزج بين المرأة التي يعشقها والطبيعة ، واصِفًا لنا مشاهد سعيدة ، فالوردُ يحتضن الحبيبين و هما يجنيان عذبَهُ[28] :

فَتّحَ الوَرْدُ لنَا فَـهُنا الحُبُّ هنا
وَشذَى الورْدُ مُنى وَشذى الحبُّ مُنى
و جنينـا ورْدَةً وَسِوانَا ما جنَى
و نعـمْنا زَمَـنَـا في سُرُورٍ وَهَنَا
ضاعَ مَنْ ضيَّعَ في غَيْرِ حُبِّ زَمَنا

المنارة للاستشارات

إنّما الأعْمَارُ للذّ اتِ كانَت ثَمَنَا
فاجْنِ زَهْرَ الحُبِّ لا تجنِ شَوْكًا وَعَنَا

هكذا جعل شعراء العصر الحديث من الطبيعة الوعاء الذي يصبّونَ فيه مشاعِرَهم وأفكارهم ، فعاشوا فيها و مزجوها بأحاسيسهم و عواطفهم .

وَما لبِث العرب أن استقرّوا في الأندلس وَرحلَ إليها شعراؤهم ، حتىّ بدأ الشعر الأندلسي يشُقّ طريقهُ إلى الوجود وَيقوى وَتتنوّع فنونهُ ، وَقد اشتهر شعر الطبيعة في الأندلس لتميّزها بالمناظر الخلابة و الطبيعة الرّائعة .

جاء العربُ الفاتحين بِشِعرهم وَأدبِهم وَلُغتهم منَ المشرقِ ، فساعدهم ذلك على إيجادِ نهضةٍ أدبية خاصة ، نَمَت وَترعْرَعت على مَرّ الزّمنِ مُتأثرة بِخُطى الشّعرِ المَشرقِي[29] .

كان الشّاعر يحيا مع الطبيعة و يُحيها في شعره وَلا عجب في ذلك نظرًا لثراء العمران الواسع و خُضرة الرياض الدّائمة ، فأصبحت الطبيعة العين التي تتفجّر منها شاعرية الشاعر . وَلعلّ صرخةَ ابن خفاجة لأصدقُ تعبير عن هِيامِ الأندلسيين ببلادهم[30] :

يا أهلَ الأندلس لله دَرّكُم ماءٌ وَظِلٌّ وَأشجار وَأزهارُ
ما جنّةُ الله إلا في رُبوعِكم وَلو تخيّرتُ هذي كنتُ أختارُ

وَحنينُ ابن زُمرك لِغرناطة أظهره في هذه الأبيات[31]:

نَسيمُ غرناطةَ عَليلٌ لكِنّه يُبرئ العليلَ
وَروْضُها زهرُهُ بَليلٌ وَرَشْفُهُ ينفعُ الغَليلَ

هكذا أظهر لنا الشعر العربي طاقة الشاعر وَخياله التصويري ، الذي لم يترك أي زاوية من زوايا الطبيعة إلا و تغنّى بها فعَكَس بذلك صورة البيئة الطبيعية وسِحرها، فعُدّت قصائد الطبيعة من القصائد التي تُلفِتُ انتباهَ القارئ وتَشُدّه إليها لِبراعةِ لَوحات الرسم والألوان فيها .

لم يكن الشعر الشعبي في الجزائر عامة بمنأى عن ذكر الطبيعة وَمفاتِنها ، وَمدرسةُ تلمسان الشعرية كانت حاضرة في تصوير الجمال الطبيعي لهذه المنطقة حَيًّا كان أو جامدًا.

مدينة تلمسان من بين أعرق مدن التاريخ و الحضارة في المغرب العربي تزخر بآثار كثيرة خلّفتها حضارات الأمم و الشعوبِ التي تعاقبت على المنطقة وَظلّت شاهدةً على عمق ماضيها وعظمةِ شأنها بين المؤرخين وَالرحّالة وَالجغرافيينَ .

المنارة للاستشارات

تقع تلمسان على مسافة 600 كلم إلى الغرب من الجزائر العاصمة ، همُحاذية للحدود المغربية إلى الجنوب الغربي من وهران ، تقع شمال غرب الجزائر يحدّها شمالاً البحر الأبيض المتوسط ، و جنوبًا ولاية النعامة ، و شرقًا ولايتا عين تموشنت وسيدي بلعباس ، و غربًا المغرب الأقصى[32] ، وَتعتبر من أهم مراكز التاريخ وَالآثار في الجزائر وَبخاصة تراثُها المعماري العربي الإسلامي ، وَقد استقرّ فيها الأندلسيون العرب بعد رحيلهم من الأندلس عام 1292 م ، ازدهرت أيام المرابطين بمراكزها الدينية ، فيها عدد كبير من المساجد التاريخية الرائعة كالجامع الكبير وجامع سيدي بلحسن ، و ضريح الولي الصالح سيدي بومدين .

فيها مقاصد سياحية مهمة ، تحوي مرافق طبيعية خلابة و خدمات راقية منها محطة حمام شيغر للعلاج بالمياه المعدنية الساخنة ، وحمام بوغرارة وفيها شلالات الوريط بمياهها العذبة و فيها عدة واحات خضراء وسهول خصبة .

قال الفيروز آبادي في تعريفها : " قاعدة مملكةٍ بالغرب ذات أشجارٍوأنهارٍ وحصونٍ وفُرَضٍ "[33].

قامت هذه المدينة على أنقاض المدينة الرومانية القديمة " بوماريا " أو أغادير ، والتي كانت الصفحة الأولى في تاريخ المدينة ، وذلك على الجانب الشرقي من المدينة الحالية و الذي كان الموقع الذي اخترقه الرومان و توغّلوا إلى الشمال الإفريقي ، ولم يبق من المدينة القديمة سوى أطلال تلاشت عبر التاريخ و قد استخدمت أحجارها وأحجار أسوارها و قُصورها في بناء منارات أغادير و مساجدها[34] .

لقد أبهرت تلمسان منذ أن تأسست كحضارة من أهم حواضر المغرب العربي كل من زارها من الرحّالة و طلّاب العلم والموفدين إليها من السفراء من المشرق والمغرب واللاجئين إليها بحثًا عن الأمان .

لم يتردّد هؤلاء في وصفها في كتبهم وَسفراتهم ، فأكثروا في مدحها وَأطنبوا في إظهار جمال منشآتها العمرانية وَحسن تخطيطها وَتطور حضارتها . وقد استهوت تلمسان حتى أولئك الذين تعرفوا عليها في كتب الآخرين وَلم يزوروها ، لما تمتعت به من شهرة طيبة وَإشعاع باهر .

من أبرز الذين وصفوا تلمسان في القرن الخامس الهجري أبو عبيد الله البكري قال عنها : " ... و هي مدينة مسورة في سفح جبل شجرُهُ الجَوْز و لها خمسة أبواب ثلاثةٌ منها في القبلة باب الحمام و باب وهب و باب الخوخة ، و في الشرق باب العقبة، و في الغرب باب

المنارة للاستشارات

أبي قرّة ، و فيها للأول آثار قديمة و بها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا و لهم بها كنيسة معمورة و أكثر ما يوجد الرّكاز في تلك الآثار و كان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمى " لوريط" بينها وبين المدينة ستة أميال و هذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط و لها أسواق ومساجد و مسجد جامع وأشجار و أنهار ، عليها الطواحين و هو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة و موسطة قبائل البربر و مقصد لتجّار الآفاق ... ولم تزل تلمسان دار العلماء و المحدَثين و حملت الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمهالله ... " [35].

هذه هي تلمسان ببساتينها ، ينابيعها ، موطن التاريخ ، بلد المساجد ، نزهة النفس ، بزهورها و نضرة الوجوه فيها ، حين تقف على قمة هضبة " لالا ستي " وتمدّ بصركَ إلى ما وراء مضيق البحر المتوسط تظن أنها مدينة أندلسية كبيرة ، المدينة التي تملك كل ما يجعلها قادرة على أن تُبهر و تشُدّ عقلكَ و قلبك .

وَما من شكٍّ أنّ سحر المدينة الخلاّب وَجمالها الباهر قد ألهم شعراءهاوَجعلهم يتغنون بها ، و هذا ما وجدناه عند أغلب الشعراء الشعبيين أمثال ابن تريكي ، ابن سهلة ، ابن مسايب ، هذا الأخير الذي كانت تلمسان المدينة مُلهِمتُهُ العظمى ، تفنّن في ذكر محاسنِها وروعة جمالها ، يقول في قصيدة " اراد كيف فعل "[36] :

كانت بْعَزْ عْظيمْ وْشانْ مرتْفَعْ　　منْ يْراها يتمنى في الشّر
باهية صِفَتْها مَكمولْة الطبَعْ　　صباحْها ومْساها يَغْني عن الفْقَرْ
عنْدها صُورْ مدَوَّرْ محَصّن للمْنَعْ　　في الحْجَرْ جبالها حرزْها بالوْعَرْ
جاتْ ما بِينْ الصَّحرا وُالتّلْ مِجْتْمعْ　　فَاَرْحينْ مْوُاليْهَا بْصِيْدْ الْبَرْ وُالْبَحِرْ
جَاتْ مَا بِيْنْ عَطَّارْ وُ قِبّةْ الْمْنَارْ　　مْعَالْفْصِيْفْ وُعْينْ الحُوتْ وُاَزرْوُنْ
الخْنَدِقْ وُالقَلْعَةْ وُ حْنِيفْ كيفْ دَارْ　　وُالجِنْحْ الأَخْضَرْ وُ العُبَّادْ وُ العْيُونْ

وَإذا نظرنا إلى الشعر الشعبي لدى المدرسة التلمسانية وجدنا المرأةَ متغلغلة في معظم ثناياه ، فارتبط ذكرُها بذِكرِ جمال الطبيعة ، فشُبّهت بالغزال والخدود بالورودِ وَحُسن قِوامِها بالنخلة ، فيقول بن سهلة في قصيدة " يوم الخميس "[37] :

هذا الغْزال بَاهِي الصورة　　للورد و الزهر مثلته
الشفَر ما أحسنه بالنظرة　　والعين بالكْحُول واتاته
الثّيت كظليم الصّحراء　　هَاوي على الصْدَر طلقاته
الفُم مدوَّرْ خَاتم فجرَة　　وَشفُوف عَكْري في أنعَاته

المنارة للاستشارات

ما كان زينها يا حضْرة في جِيلنا وْجِيل اللّي فاتوا

وَيذكر بن مسايب الطّيرَ في قصيدة " هاجت بالفكر شواقي"[38] :

الاطْيَارْ بْلَا شَفْقَةْ تِسْبحْ مِتْرَافْقَا

وُ بْلَابِلْ مِفْتْرْقَةْ تْغرّدْ عْلى الأَوْرَاقْ

وَيقول أيضًا في وصف جمال المرأة و يصورها بجمال الطبيعة و يشبهها بالبدر في قصيدة " يا قامة غصن الياس "[39]:

يا قَامةْ الغُصْنْ الرْطِيبْ فِيْ البُسْتَانْ البَاهِي العْجِيْبْ

وُحْشَكْ يِشَيبْ مَنْ لَا يْشِيْبْ وَ القَلْبْ فِيْ تِهْواسْ

يَا صِفْةْ البَدْرْ ألّا يْغِيْبْ وُ ظْرِيْفَةْ فِيْ تِكْيَاسْ

كما قام بوصف المدينة الجميلة تلمسان في قصيدة " اراد كيف فعل " ذاكرًا موقعها وأهم ما يحيط بها وأهمّ آثارها : القلعة ، العبّاد ، العيون :[40]

جَات ما بِينْ الصّحْرَا وْالتّلْ مْجْتمَعْ فَارْحِينْ مّالْهَا بْصِيدْ البَرْ وْالبْحَرْ

جَات ما بِينْ عَطّارْ وقُبّة المْنَارْ مْعَ الصفْصِيفْ وْعِينْ الحُوت وأزْرْوَانْ

الخْنَادقْ والقلْعَة وحْنِيفْ كِيفْ دَارْ والجْنْح الأخْضَرْ والعُبّادْ والعْيُونْ

ما بْقَا فِيهَا بَاشْ تْعَاندْ المْدُنْ

كان لموقع مدينة تلمسان بين البساتين النظِرة ، وَطبيعتها الجميلة الساحرة أثر عميق في إحساس الشعراء و تفجير مواهبهم ، وَشحذِ قرائحهم للإنتاج الأدبي عامةً والشعري على وجه الخصوص ، فبرزت منهم طائفة ملأت المدينة شعرًا وَنظمًا في مختلف الأغراض وبالأخصّ الطبيعة ، تميزت بغزارتها وَطول نفسها وَجودة نسجها .

الهوامش:

المنارة للاستشارات

[1]Vb.mediu.edu.my، - هبة عبد المنعم ، شعر الطبيعة وموضوعاته في الشعر الأندلسي.

[2]-د.نوريحمودي القيسي ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، الشركة المتحدة للتوسيع ، بيروت ، ط1 ، 1970 ، ص 209.

[3]- الأعشى ميمون بن قيس ،ديوانه ، شرح محمد محمد حسين ، دار النهضة ، بيروت ، 1972 ، ص 97.

4- امرؤ القيس ، الديوان ، شرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي ، تحقيق أنور أبو سويلم ، ومحمد الهروط ، دار عمار ، عمان ، الأردن ط1 ، 1412هـ- 1991م ، ص 21 .

[5]- قِفا : يخاطب رفيقه .

[6]- اللّوَى : مُنقطع الرّمل .

[7]- الدخول فحوْمَلِ : موضعان .

[8]- توْضح المقرّاة : موضعان .

[9]- لم يَعفُ رسمُها : لم يُمحَ أثرُها .

[10]- الجنوب والشمال : ريحان متضادّتان ، تهبّ الأولى من الجنوب و الثانية من الشمال .

[11]- الآرام : جمع رئم ، وهو الظبي الأبيض الخالص البياض .

[12]- عرضاتها : ساحاتها .

[13]- القيعان : جمع قاع وهي الأرض المستوية لا بناء فيها .

[14]- امرؤ القيس ، الديوان ، ص19 .

15- رومية وهب ، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1981 ، ص125

[16]- خليف يوسف ، ذو الرّمة ، شاعر الحب والصحراء ، ص7 .

[17]- إيليا الحاوي ، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2 ، 1980 ، ص140 .

18- أبو تمام ، ديوانه ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1969 ، ص34 .

[19]- حواشي : ج حاشية : هي طرف كل شيء ومعناه في البيت صار الدهرُ رغدًا .

[20]- تمرمَرُ : تهتزّ وتتمايل .

[21]- تكفَرُ : تجْحَدُ وتنكُرُ .

22- ابن الرومي ، ديوانه ، تحقيق د.حسين نصار ، مطبعة دار الكتب والوثائق ، القاهرة ، ج3 ، ط3 ، 2003 ، ص994 .

[23]- البحتري ، ديوانه ، تحقيق وتعليق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، دت ، ص112 .

المنارة للاستشارات

- أحمد حسن الزيات ، اتجاه الأدب الحديث إلى الطبيعة ، مجلة الرسالة ، العدد 994 ، التاريخ : 1952/07/21 .[24]

- نفسه .[25]

26- د.أحمد عوين ، الطبيعة الرومنسية في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2001 ، ص 18 .

- أبو شادي ، أحمد زكي ، ديوانه الشعلة ، ط1 ، ص 135 .[27]

- عثمان حلمي ، ديوانه نسيم السحر ، ص 81 .[28]

29- جميلة شحاذة الخوري ، الشعر الأندلسي ، رسالة قدّمت إلى كلية الآداب في جامعة بيروت الأمريكية لنيل شهادة أستاذ في العلوم ، بيروت ، الجامعة الأمريكية ، 1946 ، ص 236 .

- إيليا الحاوي ، فن الوصف و تطوّره في الشعر العربي ، ص 236 .[30]

- نفسه .[31]

32- د.عبد الحق حميش ، موسوعة تراجم علماء الجزائر ، علماء تلمسان و توات ، دار زمورة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2011 ، ص 22 .

- فيروز أبادي ، القاموس المحيط .[33]

- ابن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية لتلمسان ، تقديم و تحقيق و تعليق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 10 .[34]

35- أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، نشر و تحقيق البارون دي سلان ، الجزائر ، 1911 ، ص 83 .

36- ابن مسايب ، ديوانه ، جمع و تحقيق محمد بن الحاج الغوثيبخوشة ، نشر بن خلدون ، تلمسان ، الجزائر ، 2001، ص 98 .

37- بومدين بن سهلة ، ديوانه، جمعه أ.محمد الحبيب حشلاف ، أتمه و حققه و أعدّه محمد بن عمرو الزرهوني ، ط1 ، 2001 ، ص 38 .

- بن مسايب ، ديوانه ، المرجع السابق ، ص 145 .[38]

- نفسه ، ص 66 .[39]

- نفسه ، ص 97 .[40]

المنارة للاستشارات